التربية الإسرائيلية والتربية اليهودية:
التماثل والاختلاف

د. أمة السلام محمد جحاف*

مقدمة:

يقول أحد الزعماء الإسرائيليين: "إننا لا نكافح في الوقت الحاضر من أجل حقوق يهودية ليهود المنفى، ولكن من أجل تأصيل اليهودية بينهم، أي تأكيد الشخصية اليهودية وقوة عبقريتها، إننا لا تسعى إلى إقامة المدارس لأطفال اليهود، وإنما لتربية يهودية" (مصطفى عبد العزيز ١٩٦٩: ١٢). يركز هذا القول على التربية اليهودية في المنفى، ولا يشير إلى التربية الإسرائيلية من قريب أو بعيد. ولو استنطقنا التاريخ، لتبين لنا أن التربية اليهودية لها ثلاث محطات تاريخية، كل محطة منها صبغت التربية بصبغتها التاريخية والحضارية.

فالمحطة التاريخية الأولى، تتعلق باليهود قبل الشتات، وأثناء الشتات القديم –قبل الميلاد وبعده بسنوات قليلة–، وهي مرحلة تاريخية موغلة في القدم، عندما بدأ علماء اليهود بصياغة وتدوين موروثهم الديني. في هذه المرحلة اتسمت التربية بالتوجه الدّيني، الهادف إلى الحفاظ على هذا الموروث، ولم شمل اليهود على أساسه.

أما المرحلة الثانية، فهي المرحلة، التي توجت بالمؤتمر الصهيوني الأول، تميزت هذه المرحلة ببروز نمطين من التربية: الأول، خضوع أبناء اليهود لنمط التربية السائد في المجتمعات التي يعيشون فيها. النمط الثاني، خضوع أبناء اليهود لتربية يهودية صرفة. وينقسم النمط الأخير هذا بدوره إلى شكلين، وفقاً لتوجه الجماعات اليهودية: ففي الشكل الأول، نجد أن الجماعات اليهودية، التي تنكر التوجه السياسي للصهيونية، تخضع أبناءها لتربية دينية خالية من الأبعاد السياسية. أما الشكل الثاني، فهو توظيف الدين اليهودي ونصوصه توظيفاً سياسياً، يخدم الأهداف الصهيونية، المتمثل في حشد الشباب اليهودي ودفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين.

والمرحلة الأخيرة، هي المرحلة التي بدأت بالاستيطان، واكتملت بإعلان دولة الكيان الصهيوني. هذه المرحلة ذات خصوصية متميزة، فالكيان الإسرائيلي، أمام مهمتين تربويتين: الأولى، هي تربية اليهود في فلسطين. والثانية، تربية أبناء اليهود في كل دول العالم. وهذا أمر بالغ التعقيد، ويحتاج إلى جهود جبارة من قبل دولة الكيان الإسرائيلي.

---

* أستاذ أصول التربية المساعد – كلية التربية – جامعة صنعاء.

المهمة الأولى، هي التربية في دولة الكيان الإسرائيلي. فالتربية عادةً ما تقوم بوظائف عديدة، منها ثلاث وظائف رئيسية: الأولى، غربلة وصقل الموروث الثقافي للمجتمع، ونقله إلى الأجيال. فالمجتمعات تحرص على تعزيز قيمها وأعرافها وعاداتها ولغتها، في نفوس ووجدان أبنائها، عن طريق ترجمتها إلى أهداف ومحتويات وأنشطة تعليمية وخبرات عملية، وتضمينها المناهج الدراسية، وتحميل المؤسسات التربوية عبء هذه المهمة، فهي التي تضع البذور الأساسية لطريقة التفكير، وتكوين الاتجاهات نحو كثير من قضايا الحياة، بالإضافة إلى قدرتها على تكوين منظومة قيمية (أمة السلام جحاف ٢٠٠٠: ٩٣)، وهذا بعد يفتقر إليه المجتمع الإسرائيلي، ذو الطبيعة المصطنعة، فالإسرائيليون، المقيمون في أرض فلسطين، يفتقرون للموروث الثقافي الواحد، فكل فئة من فئاته لها موروثها الثقافي الخاص بها، وهذا أمر يزيد من تعقيد دور المؤسسات التربوية في إسرائيل.

وتمثل التنشئة السياسية الوظيفة الثانية للمؤسسات التربوية، ولما كانت الوظيفة الثقافية للمؤسسات التربوية في إسرائيل تتميز بالضعف، فإن هذه المؤسسات تولي عملية التنشئة السياسية جل اهتمامها وعنايتها، وهذا أمر طبيعي، فوجود إسرائيل في المنطقة العربية، وجود سياسي قائم على الاغتصاب، ومهدد بالمقاومة من السكان الأصليين، فلا غرابة إذن من أن تكون التنشئة السياسية محور العملية التعليمية للمؤسسات التربوية.

والوظيفة الثالثة، هي إعداد الشباب للحياة للإسهام فيها وتطويرها، وذلك من خلال إكسابهم المهارات والقدرات العلمية الإبداعية، والمؤسسات التربوية في مجتمع الكيان الإسرائيلي، لا شك، متفوقة في هذا المجال. وتبقى المهمة الثانية لدولة الكيان الإسرائيلي، وهي تربية أبناء اليهود في الشتات، فهل سيتم تربيتهم تربية يهودية، كما يقول ليفي شكول، أم أن تربيتهم ستكون تربية إسرائيلية، وعندما نقول تربية يهودية وتربية إسرائيلية، فهل هما مختلفتان من حيث أصولهما، ومبادئهما، وأهدافهما، أم أنهما شيء واحد ؟. وبناءً على هذا التساؤل، فإن دراستنا هذه تهدف إلى:

١. التعرف على طبيعة التربية اليهودية.
٢. التعرف على طبيعة التربية الإسرائيلية.
٣. علاقة التربية اليهودية بالتربية الإسرائيلية.

منهج الدراسة

تقوم هذه الدراسة، في الأساس، على منهج مسح أو مراجعة الأدبيات المتعلقة بعملية التطبيع، والتي ستساعد في الإجابة عن تساؤلات الدراسة، أي أن الإجراءات المتبعة سوف تنحصر في العمل المكتبي فقط.

التربية الإسرائيلية

كيف تتشكل التربية؟

قد يجد القارئ في السطور القليلة الآتية كلاماً يظنه بعيداً عن موضوع الدراسة، إلا أن ظنه هذا في غير محله، كما سيتضح ذلك فيما بعد. الحديث عن التربية من المسائل أو الأمور

الشيقة والشفافة والشائعة بين الناس، وهذا ما يعرف بالشينات الثلاث (الخياط ٢٠٠١: ١٦). إضافة إلى ذلك، فهي من القضايا أو المسائل البسيطة المعقدة، ومعنى هذا أن شيوعها بين الناس، بغض النظر عن ثقافاتهم أو مكاناتهم الاجتماعية أو المهنية، جعلهم يؤمنون ببساطتها، فكل منهم يدلوا بدلوه في معظم إن لم يكن في كل المسائل التربوية. ويأتي المختصون التربويون ويتحدثون عن التربية، بحديث علمي ومهني، فيأخذ عنهم باقي أفراد المجتمع ويستخدمون مصطلحاتهم، فتتماها الخطوط بين حديث المختص وغير المختص، حتى أن بعض المختصين التربويين، بدأوا كغير المختصين يخلطون في استخدام بعض المفاهيم أو المصطلحات التربوية (الخياط ٢٠٠١: ٥٠).

لذا، كان من المناسب، هنا، الحديث عن كل من التنشئة، والتربية، وأسس التربية، وأصول التربية. وهذه المفاهيم تعمل مجتمعة على تشكيل التربية، فمن حيث التمييز بين التربية والتنشئة، نقول: أن التربية هي تلك العملية المنظمة المبرمجة الهادفة. أما التنشئة، فهي على العكس من ذلك، فهي عملية طبيعية تلقائية غير منظمة وغير مبرمجة وغير هادفة، ولإيضاح هذا الفارق، لا بد من الإشارة إلى ما تقوم به الأسرة، وما تقوم به المدرسة، أو أية مؤسسة تعليمية. فالأسرة، وعلى العكس مما يعتقد كثير من الناس، لا تقوم بتربية الأبناء بقدر ما تعمل على تنشئتهم، وإن كان لعضها يتدخل في تحديد المستقبل المهني للأبناء، إلا أن هذا أيضاً، لا يلغي حقيقة أن ما تقوم به الأسرة هو تنشئة الأبناء، أما المدرسة، فتقوم بالمهمتين معاً: أي التربية والتنشئة، فهي تقوم بعملية التربية من خلال ما تمتلكه من خطط وبرامج وأهداف وطرق شديدة الوضوح، وشديدة التنظيم، وفق مدى زمني محدد. وإلى جانب دورها التربوي هذا، فهي تقوم بعملية التنشئة السياسية والاجتماعية والثقافية، بطريقة تلقائية وغير منظمة، وهذا ما يطلق عليه بالمنهج الخفي Hidden Curriculum، والمنهج الخفي هذا ذو علاقة شديدة التعقيد في أصول التربية، كما هو معلوم.

وفي الوقت الذي يستحيل فيه أن تكون هناك تربية بدون أسس أو أصول، فإن التنشئة يمكن أن تقوم بدون ذلك. ومع ذلك، فقد تم هنا –عمداً– وضع الأسس والأصول بشكل يوحي بأنها مفاهيم تختلف عن بعضها البعض، وذلك لإزالة اللبس عند الكثير، الذين يستخدمونها بمعنى واحد.

فأسس التربية هي ثلاثة أسس، لا يمكن للتربية أن تقوم بدونها مجتمعةً، هذه الأسس هي: المعلم والمتعلم والمادة المتعلمة. أما فيما يتعلق بالأصول، فهي كثيرة ومتعددة، منها تاريخ المجتمع، وتراثه الحضاري، وثقافته، ودينه، وفلسفته، وسائر العلوم والأفكار الشائعة فيه، وعلى الرغم من أهمية هذه المنظومة للتربية إلا أن التربية يمكن أن تقوم على بعض هذه الأصول والاستغناء عن البعض الآخر. وأصول التربية ذات أهمية بالغة في تشكيل التربية وضبط إيقاع التنشئة، فالمادة المتعلمة (الكتاب المدرسي) أو المنهج المكتوب، تتم صياغته وتقديمه للمتعلم، من وحي أصول التربية، كما تسهم أصول التربية كذلك في التأثير على المنهج الخفي، ومعرفة أبعاده وكيفية عمله وتشكيله للمتعلم، وسيتضح هذا عند الحديث عن التربية اليهودية عامة

والتربية الإسرائيلية على وجه الخصوص. وعليه ينبغي أن يكون هذا الأمر –ما سبق ذكره– حاضراً في الذهن عند قراءة هذه الدراسة (التربية الإسرائيلية)، حتى تكون الصورة أكثر وضوحاً.

أولاً.. التربية اليهودية

مقومات التربية اليهودية

تستند التربية اليهودية، كغيرها، إلى عدد من المقومات، والتي تعد في المقام الأول بمثابة موجهات للسير في الاتجاه الذي يحفظ للجماعات اليهودية كيانها ويساعدها على تخطي العقبات، التي قد تحول دون استمرار وجودها، وسوف نتناول هذه المقومات بشيء من الإيجاز، وذلك على النحو الآتي:

أولاً.. التاريخ:

تشير الأدبيات –العربية والأجنبية– إلى أن اليهود أو العبرانيين شعب سامي، ينتسب إلى نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، الشخصية الرفيعة المقام، التي اكتسبت أهمية خاصة، واحتراماً كبيراً بين الشعوب، التي كانت تقطن ما بين نهري دجلة والنيل. ولا شك أن منبع هذه الأهمية قد أتت من الدور الديني، الذي اضطلع به نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولا بد أن يكون هذا الدور جديداً، ومخالفاً للأفكار الدينية، التي تعارف عليها أقوام ذلك الزمن (صالح دراوكة ١٩٩٢: ٣٩)

ونظراً لهذه الأهمية، التي اختص بها نبي الله إبراهيم، نجد أن كتبة التوراة يحرصون على ربط تاريخ اليهود، بهذه الشخصية المقدسة، وذلك بغرض إضفاء طابع القدسية على السلالة اليهودية من ناحية. ومن ناحية ثانية الوصول إلى هدفهم الأخير، المتمثل في الاستحواذ على فلسطين، التي يطلقون عليها "أرض الميعاد".

وقد أشارت كثير من الروايات، التي تتحدث عن نسب اليهود، إلى أن نبي الله إسحاق بن نبي الله إبراهيم عليهما السلام، أنجب يعقوب وأخ آخر أكبر منه، وقد وقع الاصطفاء على يعقوب ليكون صاحب الشأن. ويقال أن اسمه تغير، عندما كان في بيت إيل، غربي أريحا، قبل مولد بنيامين آخر أبنائه، وأصبح يدعى إسرائيل، وكان أبناؤه هم النواة الأولى لبني إسرائيل، وبالتالي كان إبراهيم عليه السلام، هو جدهم الأول (أبو حاكمة ٢٠٠٢: ٩١).

وبدأت علاقة بني إسرائيل بمصر، عندما استقدم يوسف عليه السلام أبويه واخوته ليعيشوا معه، بعد أن ارتفع شأنه في الدولة، وأصبح وزيراً للملك. وقد ظل بنوا إسرائيل على دين التوحيد في مصر الفرعونية –التي كان ملوكها يدعون الربوبية– الذي من أجله كانوا يتعرضون لألوان من الاضطهاد والاستعباد. وظلوا على ذلك الحال من القهر والإذلال طوال الفترة الممتدة بين عهدي موسى ويوسف عليهما السلام، والتي تزيد على خمسمائة سنة. وفي غمرة ذلك الاضطهاد ولد موسى، وبين لنا الله جل جلاله كيف تعهده بعنايته ورعايته، وجعل فرعون يقوم على تنشئته (البهنسي ٢٠٠١: ٤١).

وقد خرج موسى باليهود يريد أرض فلسطين، التي وُعدوا بها، لأنه مكتوب عندهم في التوراة، أن الله قد وعدها أباهم إبراهيم عليه السلام، لتكون لذريته من بعده، ويحدثنا القرآن بهذا المعنى بقوله تعالى: (يا قومي ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين)، فلما رفضوا الدخول والقتال، تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة، مات خلالها هارون وموسى، ثم أقام الله على بني إسرائيل مقام موسى، فتاه يوشع بن نون، وآتاه النبوة، وأمره أن يقود بني إسرائيل ضد عدوهم في أرض فلسطين، وكان قد نشأ في الصحراء جيل جديد منهم، فساروا مع نبيهم ضد عدوهم، ففتح الله عليهم أرض فلسطين، وكان ذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد (أبو حاكمة ٢٠٠٢ : ٩٩).

وكان الفلسطينيون في تلك الفترة يسيطرون على البلاد الساحلية، وهم وافدون من منطقة بحر إيجة. كما كان هناك الكنعانيون، الذين كانوا يشكلون معظم السكان في فلسطين، ثم توسع الفلسطينيون فتوغلوا في الداخل، واستولوا على عدد من المدن الكنعانية، وضموها إلى ما كان عندهم من أرض الساحل، وقد بلغت قوة الفلسطينيين الذروة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث هزموا بني إسرائيل، في بعض معاركهم معهم، وأخذوا منهم تابوت العهد، وحملوه إلى إحدى مدنهم المحصنة، وظلت لهم الغلبة على بني إسرائيل، إلى أن ظهر فيهم نبي يقال له صموئيل، فطلبوا إليه أن يعين لهم ملكاً يقاتلون معه عدوهم، حتى جاء الوقت، الذي قال لهم فيه، إن الله بعث لكم طالوت ملكا، فقبلوه بعد عناد ومكابرة، وأخذ ورد، وساروا معه للقاء عدوهم (أرشيدات وعبيدات وآخرون ١٩٩٢ : ٦).

وكان داود –يومئذ– شاباً حدثاً، وكان دقيق القامة، نحيل الجسم، وأما جالوت (ملك الفلسطينيين) فقد كان عملاقاً رهيباً مدججاً بالسلاح، فخذله الله وأسلمه إلى داود فقتله. وفي تلك المعركة، جُرح طالوت ملك بني إسرائيل جرحاً بليغاً، لم يلبث بعده أن مات، فخلفه على بني إسرائيل داود ملكاً نبياً (طه ١٩٦٧ : ٨٣–٨٦).

حكم داود بني إسرائيل أكثر من أربعة عقود من الزمن (١٠٠٤ – ٩٦٣ ق. م)، وفي هذه الفترة من الزمن تأسست مملكة بني إسرائيل، حيث واصل حرب أسلافه ضد الفلسطينيين، وتمكن من إخضاعهم سنة (٩٩٠ ق.م) تقريباً، وأقام إدارة على الطراز المصري القديم، وقد أجبر دمشق على دفع الخراج له، كما أحبط جميع المؤامرات والثورات، التي دُبرت للإطاحة به وبملكه، ونجح في توسيع حدود المملكة، إلى أبعد مما بلغته في أي وقت آخر. ولحق بربه بعد أن أسس ملكاً قويا، فخلفه على عرشه ابنه سليمان الحكيم، الذي حكم فترة تقارب فترة حكم أبيه (٩٦١ – ٩٢٢ ق . م)، وقد وصلت المملكة في عهده إلى ذروة المجد والقوة والعمران، ونجح في تنظيم الحياة الاقتصادية، وبنى في أورشليم الهيكل المشهور باسمه (هيكل سليمان)، الذي استغرق بناؤه سبع سنوات، ورغم أن سليمان بنى ذلك الهيكل ليكون معبداً ملكياً ملحقاً بالقصر، إلا أنه أصبح فيما بعد مركزاً عاماً لعبادة بني إسرائيل (الزين ١٩٩٠ : ٨٥، ٨٦).

وبموت سليمان انقسمت دولته إلى قسمين: مملكة إسرائيل في شمال فلسطين، وعاصمتها السامرة، ومملكة يهوذا في الجنوب، وعاصمتها أورشليم. وقد أخذت الدولتان

تتخاصمان وتتحاربان، وتغري الواحدة منهما العدو الخارجي على الأخرى، الأمرُ الذي طبع عهد المملكتين بطابع الفتن والثورات والدسائس والتآمر، وذلك في سبيل الحصول على العرش. وقد أسفرت تلك السياسة عن التلاشي السريع لمملكة إسرائيل، التي لاقت نهايتها نحو عام (٧٢١ ق. م)، حين منيت بهزيمة منكرة أمام مملكة آشور، التي سبت من رجالها أعداداً كبيرة، لم تقم لها بعدها قائمة، أما مملكة يهوذا فكانت عرضة لغزو إمبراطورية آشور، كلما امتنع حكامها عن دفع الجزية، وقد استمر خضوعها للآشوريين إلى أن سقطت نينوى في يد بابل الكلدانية عام (٦١٢ ق . م)، حينها أصبحت تابعة لبابل الكلدانية (الناطور ٢٠٠١ : ٢ ، ١٣، والناصر : ١٧٥).

ولم تتردد إمبراطورية بابل في غزو مملكة يهوذا، ومحاولة القضاء عليها، كلما أبدت تمردها، أو محاولة التخلص من تبعيتها لها، فكانت آخر تلك الغزوات عام (٥٦٨ ق . م)، عندما قام ملك يهوذا بإظهار تمرده على بابل، معتمداً على مساندة حاكم مصر له، فبادر نبوخذ نصر إلى قمع ذلك التمرد، فسير جيشاً جراراً ضرب الحصار الطويل حول العاصمة أورشليم، حتى سقطت في يده فهدمها، وهدم هيكلها، وكل مدينة مهمة في مملكة يهوذا، ثم سبى العظماء من سكانها، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً، حملوا جميعاً إلى بابل وهذه هي المرحلة الأولى، التي تباد فيها كل أسباط اليهود، وينتهي وجودهم في فلسطين (طه ١٩٦٧ : ٩١).

وقد ظل اليهود على حالهم من السبي والنفي البابلي، حوالي نصف قرن من الزمن، ثم وقعت بابل تحت الحكم الفارسي، حيث استولى عليها قورش ملك الفرس، الذي أذن لليهود بالعودة إلى فلسطين، وقد استطاع زعيم اليهود العائدين من السبي، أن يرجع معه كنوز الهيكل، التي نهبها نبوخذ نصر، بتوجيه من الملك الفارسي. وبعد صعوبات عديدة واجهته، نجح في بناء الهيكل مرة ثانية في عام (٥١٥ ق. م)، وتحملت الحكومة الفارسية تكلفة إعادة ذلك البناء، في عهد دارا (داريوس)، كما أعاد نحميا بعد ذلك بناء أسوار أورشليم، وجاء معه عزرا بإذن من ملك الفرس أيضا، ليقوم بمهمة إصلاح الدين اليهودي، وإيجاد عقيدة دينية نقية (يوسف ١٩٩٤ : ١٦٨).

وبعد تلك الفترة ظهر الإسكندر على مسرح التاريخ، فقوض ملك فارس، وخضعت له أورشليم، وجعل اللغة اليونانية لغة العلم في الدولة، وانتشرت العادات والتقاليد اليونانية بين الأهالي، ليس ذلك فحسب، بل فرض الحاكم اليوناني على اليهودي عبادة آلهة اليونان، وقد تجاوبت معهم الفئة الأرستقراطية الغنية من يهود أورشليم، وأقيمت المعابد للآلهة اليونانية، إلا أن المتمسكين بأصول الديانة اليهودية، والقوميون من اليهود، قد وقفوا موقفاً موحداً في معارضتهم لكل ذلك، ونشبت الثورة اليهودية عام (١٦٨ ق . م)، بزعامة يهوذا، ووجهت الثورة في أول الأمر ضد الطبقة العليا، التي تستغل الجماهير، أكثر منها ضد الحكومة المركزية (سعيد : ٧٨).

ولقد كانت تلك الحركة الثورية في بدايتها ثورة دينية، ثم تحولت إلى ثورة قومية تستهدف تحرير البلاد، ولم يكن الصراع مع قوات الحكومة فقط، بل كان أيضاً صراعاً بين هؤلاء

القوميين اليهود، وبين قومهم من أنصار الثقافة الجديدة، والذين كانوا ألفوا حزباً باسم الحزب الهلنستي (حزب الإصلاح)، وقد انتصر القوميون اليهود على قوات الحكومة، كما انتصروا على أنصار الثقافة الجديدة من قومهم، وأخذ اليهود المنتصرون الاستقلال، وقامت الجمهورية اليهودية، وقد دامت هذه الجمهورية ثمانين عاماً من بدء ظهورها (طه ١٩٦٧: ٩٦).

ونتيجة لاستمرار الصراع بين اليهود المكابيين وأعدائهم، استغل الرومان الفرصة فقاموا باحتلال فلسطين عام (٦٣ ق .م)، واستولوا على القدس، بقيادة القائد الروماني يامبيوس، وتم تنصيب هيرودس الروماني ملكاً على فلسطين، وقد حاول هيرودس تهدئة الأوضاع واسترضاء اليهود، فأعاد بناء الهيكل على نسق هيكل سليمان عليه السلام، وذلك بين عامي (٢٠ – ١٨ ق .م)، ولكن اليهود لم يكفوا عن الثورة ضد الرومان، وكان الرومان يهزمونهم في كل مرة، حتى أتاهم القائد الروماني الشهير باسباسيان، فحاصر اليهود في أورشليم وضيق عليهم، وظل حصاره لهم، حتى انتخب الرومان إمبراطوراً لهم، أوكل حرب اليهود لابنه تيطس، الذي حاصرهم حتى انتصر عليهم، ودخل أورشليم، فمزق اليهود كل ممزق، ودك أورشليم دكاً، ودمرها عن آخرها، وكان من أهم قرارات الرومان، حضر وجود أو سكن أي يهودي في فلسطين، وكان ذلك في عام (٧٠ م) (الحلايقة ٢٠٠٢: ٣).

وبعد أن تحولت أورشليم إلى مستعمرة رومانية، وانتهت بذلك الأمة اليهودية كأمة لها وطن. ومن يومئذٍ تفرق اليهود في مختلف بقاع العالم، وأينما حلوا كانوا يعاملون معاملة الغرباء غير المرغوب بهم، فاضطروا أن يسكنوا في أماكن خاصة في المدن، التي نزلوا فيها، منفصلة عن باقي الأحياء، وكانوا أحياناً يجبرون على ارتداء ملابس خاصة بهم تميزهم عن غيرهم من السكان. لقد أذلوا وعذبوا وذبحوا في أغلب البلدان، التي نزلوا فيها، ومع ذلك، فقد استطاعوا الحفاظ على مقومات وجودهم واستمرارهم في هذا العالم، وفي مقدمة تلك المقومات التمسك بتعاليم الدين اليهودي، التي وضعها الحاخامات في صورة عدد كبير من الكتب المقدسة، لتكون مثابة الشريعة، التي تخطط لحياة اليهود، وترسم معالم مستقبلهم، وبالتالي أصبحت تشكل أهم المصادر للفكر اليهودي، الذي ينعكس على تربية اليهود لأبنائهم.

ثانياً.. الدين:

على الرغم من عدم وجود اتفاق بين الباحثين على المسميات، التي تسمى بها الجماعات اليهودية (اليهود، العبرانيين، الإسرائيليين)، إلا أننا سنجد كثير من الباحثين يخلطون بين المسميات وكأنها تعني شيء واحد، وعلينا أن لا نغفل هذا الأمر. فهنا يشير (موسكاتي ١٩٩٧: ١٢٠) إلى أن الجماعات اليهودية حاولت الاحتفاظ بدينها عبر العصور، وكان دخول العبريين فلسطين نقطة تحول في النظام الديني العبري، فقد تحولوا بعد دخولهم من حياة البداوة والرعي، إلى الحياة الزراعية المستقرة، والتي تمكنهم من أداء ومتابعة الطقوس والشعائر، وأداء الفرائض الدينية بصفة دائمة ومنتظمة. وما يعنينا في هذا المقام، هو الكتاب المقدس في الديانة اليهودية، الذي يمكن اعتباره أحد مقومات الحياة اليهودية عامة، وأحد مقومات التربية اليهودية على وجه الخصوص. والدين اليهودي يعتمد أكثر من كتاب واحد، تشكل في مجموعها إحدى

مقومات التربية اليهودية، وهذه الكتب هي:

١. التوراة:

والتوراة مأخوذة لفظاً من تورة، ومعناها اليهودي "الإرشاد"، والتوراة الحقيقية، هي الصحف، التي أنزلت على موسى عليه السلام، وتتألف من خمسة كتب أو أسفار، توصف بأنها أُنزلت عليه وهو في طور سينا، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ، تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بوفاة موسى على جبل نبو في شرق الأردن، حوالي عام (١٣٠٠ ق. م)، وهذه التوراة تتتابع أسفارها الخمسة على النحو الآتي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية (سنقرط ١٩٨٧: ٥٧ – ٦٢).

والتوراة الموسوية، كانت قد فقدت من المجتمع اليهودي واستمر فقدانها عدة قرون، بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها، الذي كتبه عزرا –عزير عند العرب– مختلفاً جداً عما أُنزل على موسى، فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمن، فقد بُدء بتدوين التوراة بصورة جادة في الأسر البابلي، في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده، حين كان اليهود يعيشون عيشة أسر ونفي وذل، فأراد أحبارهم وحاخاماتهم بذلك، إذكاء روح المقاومة والحمية فيهم ووعدهم بما ليس لهم، وصبوا جام غضبهم على أعدائهم (ظاظا ١٩٨٧: ٢٢).

٢. التلمود:

والتلمود هو مجموعة من القوانين، قام بصياغتها وشرحها، والتعليق عليها كبار الحاخامات، وقادة الديانة اليهودية على مر القرون، وقد تم تأسيسها على التقاليد، التي توارثها اليهود عبر الأجيال، فأصبح لها في نفوسهم منزلة التقديس إلى يومنا هذا، وتنحصر أهمية التلمود في أنه كتاب الهداية عند الكثرة الغالبة من اليهود، فإذا قال التلمود فقوله الفصل، الذي يوضح للمرتاب سواء السبيل (الموسوعة الميسرة ١٩٨٩: ٥٦٥ و منصور: ١٣١).

وقد استغرق جمع التلمود، ثلاثة قرون أو تزيد، إذ بُدء بجمعه في مستهل القرن الرابع بعد الميلاد، ولم يكتمل حتى القرن السادس، وهو ينقسم إلى قسمين: المشناة والجمارا (خان ١٩٨٥: ١١ – ١٤ و الجندي: ٢٦)، على النحو الآتي:

المشناة: وهي في العبرية تعني "المعرفة"، أو القانون، ويزعم اليهود أنه أُنزل على موسى في طور سينا.

جمارا: وهي عبارة عن تعليقات العلماء والحاخامات اليهود على المشناة، في صورة حواشي كثيرة، وشروح مسهبة، وقد جاء في صحيفة من التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة، لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناة فعل فضيلة، استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة.

الوصايا العشر: وإلى جانب التوراة والتلمود، هناك الوصايا العشر، التي كانت مجمل تقدير واحترام اليهود المتدينين، فهي في الشريعة اليهودية بمثابة المحددات، التي يسير على هديها اليهود. كما أنها تمدهم برؤى وقيم ومبادئ تربوية، يعتمدونها في تربية أبنائهم.

وبتأمل هذه الوصايا، نجدها تركز على وحدانية الله وعدم الإشراك به وتقديس اسمه

وصفاته، وتحث الإنسان على فعل الخيرات واجتناب كل ما يحط من قدره وشأنه. وتحديداً، فقد أكدت الوصايا الثلاث الأولى على ضرورة ربط الإنسان بعاطفة الحب مع خالقه، التي تجعله مستعداً لكل أنواع البذل دون عناء، استجابة لنداء الحب والوفاء، ولن يتم الوصول إلى ذلك، إلا عن طريق التربية السليمة، والتنشئة الصحيحة المفضية إلى الفضيلة. والوحدانية هي جوهر الوصية الأولى، فقد جاء فيها: "اسمع يا إسرائيل أنا الرب إلهك إله واحد" (سفر التثنية ٤: ٣٣)، فالوصية الأولى، إذن، تدعو اليهود إلى عبادة الله الواحد القهار، وتعتبر "عنوان ورمز التعبد لوحدانية الرب، ويجب على كل فرد من بني إسرائيل أن يتلوها دائماً أبداً، وهذه الوصية أو الآية تتعلق بها فرائض العبادة من صلاة ، وحج، وتقديم قرابين وصوم" (الشامي ١٩٧٧: ٧١).

أما الوصية الثانية، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوصية الأولى، فهي تقوم على عدم إشراك الرب في العبودية والألوهية، وهذا هو جوهرها القائل: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة، ولا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أتعقب ذنوب الأباء في الأبناء، إلى الجيل الثالث أو الرابع من أعدائي، وأصنع إحساناً إلى ألوف من أحبائي وحافظي وصاياي" (سفر الخروج ٣ – ٦: ١١٩). وتنادي الوصية الثالثة بتقديس اسم الله جل شأنه وتنزيهه، فقد جاء فيها: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من ينطق باسمه باطلا" (سفر الخروج ٨: ١١٩).

وتلزم الوصية الرابعة اليهودي بتقديس يوم السبت، واتخاذه يوماً للراحة من جميع العمال، "أذكر يوم السبت لتقدسه، في ستة أيام تعمل وتنجز كل أعمالك، واليوم السابع سبت للرب إلهك، لا تصنع فيه عملاً أنت وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وبهيمتك، ونزيلك، الذي في داخل أبوابك، لأن الرب خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها، في ستة أيام، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" (سفر الخروج ٩: ١١٩).

ولا ينبغي أن نفهم من هذه الوصية عدم وجود الاستثناء، فيمكن أن تزاول الأعمال في يوم السبت إذا اقتضت الضرورة ذلك، كختان الأطفال إذا تصادفت يوم السبت حسب وصية الرب، وحالة المرض أو الولادة، حيث يمكن استدعاء الطبيب، والحالات الإسعافية وإنقاذ الأرواح (الحجار ١٩٩٠: ٥٥).

وتركز الوصايا الأخرى على الفضيلة، وتجنب الرذيلة، فقد جاء في الوصية الخامسة: "أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك كي تطول أيامك، ولكي يكون لك الخير على الأرض، التي يعطيك الرب إلهك" (سفر الخروج ١٠: ١١٩). أما فيما يتعلق باجتناب الرذائل، فقد أجملته الخمس الوصايا الأخيرة، التي جاء فيها: "لا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته بيت قريبك ولا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك" (سفر التثنية ١٧: ٢٨٨).

وخلاصة القول، إن المتأمل في الوصايا العشر السابقة الذكر، يجد أنها تحث اليهودي،

على التمسك بعدد من المبادئ الدينية والتربوية، التي لا تتعارض، في مجملها، مع ما جاءت به الديانات السماوية جمعاء، فهي تدعوا إلى الوحدانية، وعدم الشرك بالله، وطاعة الوالدين، وتنهى عن العديد من الأفعال الإجرامية، التي تهدد أمن واستقرار المجتمعات، كالقتل، والزنى، والسرقة، وشهادة الزور، والطمع. إلا أن الوصيتان، التاسعة والعاشرة، تدلان على أن جميع الوصايا، باعتبارها موجهات لسلوك اليهودي، ملزمة له في حالة تعامله مع أبناء دينه فقط، أما في حالة تعامله مع غير اليهود، فهو في حلٍ من ذلك الالتزام.

ثالثاً.. الفكر :

يجد المطلع على تاريخ الشرق الأدنى القديم أن اليهود، وقبل نزول التوراة على نبي الله موسى عليه السلام، كانوا يعيشون حياة البداوة، ويتنقلون من منطقة إلى أُخرى، بحثاً عن المراعي الخصبة، وظروفهم هذه لم تترك لهم مجالاً للتأمل أو للقراءة والكتابة. وبعد انتقالهم إلى فلسطين، وتحولهم من حياة الرعي إلى الزراعة، التي هيأت لهم ظروف الاستقرار في مكان واحد. وحتى في هذا المكان، لم يجدوا أيضاً الظروف الملائمة، التي تمكنهم من الإنتاج الفكري، وذلك نتيجة لحالة الضعف، التي منيت بها مملكتهم بعد انتهاء فترة حكم نبي الله سليمان (عليه السلام)، والتي أغرت الدول والإمبراطوريات المحيطة بهم على السيطرة عليهم، مما جعلهم يعيشون في حالة حرب واستنفار دائمين. فوقعوا في الأسر، وفقدت التوراة.

وقد كان لحياة الأسر والنفي والاضطهاد، التي عاشوها أثر كبير في تحطيم النزعة القومية لديهم، كما أفقدهم كل مقومات الأمة: من دين ولغة وتراث وأرض. ومع ذلك، فقد حاولوا استعادة ما أمكن من تلك المقومات، ولما كان الدين هو الأمر المقدس وله الأولوية على كل المقومات، فقد عمدوا إلى الشروع في كتابة نصوص الشريعة اليهودية، والمتمثلة في الكتب المقدسة (التوراة وغيرها من الكتب المقدسة)، وينبغي أن ندرك أن الفارق الزمني للفترة، التي شرعوا فيها في كتابة هذه النصوص، والفترة، التي بعث فيها نبي الله موسى (عليه السلام)، هو أكثر من ألف عام، فقد كتبت من الذاكرة أو الفكر، دون مرجعية تذكر. وقد عاش اليهود فكرياً داخل هذا المجموع من النصوص المقدسة، المتمثلة في العهد القديم، والشريعة الشفوية، أو ما يطلق عليها التلمود بقسميه المشناة وجمارا (فارس ١٩٧٤: ٣١).

وقد بدأ كتاب التوراة، أو ما يسمى العهد القديم، بكتابة أسفار موسى الخمسة، وأول هذه الأسفار هو سفر التكوين، الذي يحدثنا عن أصل العالم والبشر، ويتتبع تاريخ الإنسان حتى تكون نواة الشعب العبري، بإبراهيم (عليه السلام) وأسرته، ويحكي هجرات أجداد العبريين إلى فلسطين، وأخيراً إلى مصر. والسفر الثاني، وهو سفر الخروج، يسوده شخص نبي الله موسى (عليه السلام)، ويحكي قصة الفرار من مصر، وإعلان الشريعة من جبل سيناء. والسفر الثالث، سفر اللاويين والسفر الرابع سفر العدد، ويحتويان على المزيد من أحكام الشريعة، وأغلبها يتصل بالطقوس الدينية المختلفة، ويواصلان حكاية التجوال في الصحراء، حتى الوصول إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن. وآخر الأسفار الخمسة، هو سفر التثنية، الذي يورد أحكاماً أخرى للشريعة، على أنها آخر ما فرضه موسى قبل موته، وأرض الميعاد مرأى عينيه (موسكاتي ١٩٩٧: ١٢٧).

وقد انصب جهد اليهود الأساسي جيلاً بعد جيل، منذ أقدم العصور، على حفظ الأسفار، التي تضم دينهم وتاريخهم القومي، ونقلها إلى الأجيال اللاحقة. ونتيجة لجهدهم الدائب، فقد وصلت إلى العصور الحديثة في صورة مجموعة من الكتب، التي تعد أعظم عمل أدبي أو فكري للجماعات اليهودية في العصور القديمة.

وبهذا يمكن القول أن الفكر اليهودي، منذ الأسر البابلي وحتى بداية ظهور الحركة الصهيونية، كان فكراً دينياً صرفاً. أما العصر الحديث، فيعد فترة خصوبة فكرية في مختلف المجالات، فقد شهد العديد من الإبداعات العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية والفنية، التي انتفعت بها البشرية في كل مكان، ولمعت أسماء علماء ومفكرين يهود في معظم مجالات العلم والمعرفة.

المبادئ التربوية اليهودية

سبقت الإشارة إلى أن الخلفية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية لأي مجتمع أو أمة من الأمم، وكذا الأحداث أو المتغيرات المحلية والعالمية المحيطة بها، تعمل على صياغة الواقع التربوي لذلك المجتمع أو تلك الأمة.

واليهود، كغيرهم، من الأمم، ساهمت كل مجريات الأحداث، التي مروا بها، عبر تاريخهم الطويل، في صياغة واقعهم التربوي. فالتربية لديهم تستند في الأساس على أرضيتين واضحتين: الأولى، الكتب المقدسة، والثانية، واقعهم التاريخي والاجتماعي والثقافي والنفسي، مع عدم الفصل بينهما، ومن هاتين الأرضيتين تستمد التربية اليهودية فلسفتها، ومنطلقاتها، ومبادئها، وقيمها، وأهدافها.

فالكتب المقدسة، التوراة والتلمود، تؤكد وتدعم فلسفة التميز والتفرد والنقاء للعنصر اليهودي، فالشعب اليهودي هو { شعب الله المختار}، ومن هذه القاعدة الفلسفية، بنى اليهود معظم، إن لم يكن كل ما يتعلق بتربيتهم من منطلقات ومبادئ وقيم وأهداف عامة أوجزئية. فالقاعدة الفلسفية هذه تشير إلى أطر عديدة، منها:

- أن جميع البشر، بغض النظر عن لونهم وجنسهم وعرقهم ودياناتهم، هم جوييم (أمميون)، خلقوا من عنصر دوني.
- أن جميع البشر ، بطبيعتهم، ما خلقوا إلا لخدمة اليهود.
- أن لليهودي على جميع البشر ما للسيد على عبده، لا يقاضيه، ولا يخاصمه، ولا يطالب بحق انتزعه منه.
- لا يعد جرم اليهودي جرماً، يحاسب عليه، إلا إذا وقع على أحد اليهود.
- أن المحافظة على الهوية اليهودية واجب ديني مقدس، فبدونها تسقط القاعدة الفلسفية السابقة.

وبناءً على هذه الأطر، تمت صياغة مبادئ التربية اليهودية (نشوان؛ ١٩٩٤: ٤٣-٤٤)، ومن هذه المبادئ، الآتي:

١. تنمية شعور اليهودي، بأنه متميز على غيره من الأمم.
٢. تنمية مشاعر اليهودي على كراهية الأمم الأخرى.
٣. تنمية روح التسلط وامتلاك الأسباب المؤدية إليه كالمال والعلم.
٤. تنمية مشاعر اليهودي على الانتماء إلى غيره من اليهود في مختلف أنحاء العالم.
٥. عدم الاقتصار على الديانة، ولكن العمل على بلوغ الشعور بالكينونة والاستقلال.
٦. أن تكون التربية سياسية بقدر ما هي عقدية أو دينية.

أهداف التربية اليهودية

يشير محمد الخياط (٢٠٠٣: ٥٧) إلى أن حياة الأمم والشعوب ومعظم الجماعات الثقافية والدينية تتمحور حول ثلاثة أبعاد أساسية هي: الدين، والثقافة، والسياسة، أما فيما يتعلق ببعض الجماعات اليهودية فحياتها صيغت في بعدين اثنين فقط، هما: الدين والسياسة، أما فيما يتعلق بالثقافة، فكل جماعة يهودية تنتمي إلى ثقافة البلد، الذي تعيش فيه. ويمكن بناءً على هذا الأساس، النظر إلى واقعهم التربوي، وعلى وجه الخصوص أهداف التربية لديهم، التي تنحصر في هذين البعدين، على النحو الآتي:

– الأهداف الدينية:

تهدف التربية الدينية اليهودية، في مراحلها الأولى، إلى تعريف التلميذ بأسفار موسى الخمسة، وتزويده بكلمات عديدة من اللغة العبرية، وتعليمه القوانين والشعائر الخاصة بالأعياد الدينية –وذلك بغرض ربط اليهود ببعضهم أينما وجدوا– وحتى يشارك التلميذ إخوانه تاريخهم التوراتي، فتعاطفه مع هذا التاريخ يشكل جزءاً من مسيرته الدينية (السعد ١٩٨٨: ١٩٢).

وتهدف العملية التعليمية، في المراحل الأخرى، إلى تمكين التلميذ من دراسة التلمود بمفرده، حيث يقوم المعلم بترجمة النص التلمودي، المكتوب باللغة الآرامية، إلى لغة التلميذ، ويستمر في هذه العملية حتى يتمكن التلميذ من لغة التلمود. وبعد ذلك، يقرأ المعلم الجزء، الذي ستتم دراسته خلال الأسبوع ويشرحه، ثم يترك التلميذ لدراسته بمفرده. ولذلك تطلبت الدراسة قدرة غير عادية، لأن التلاميذ كانوا يدرسون بمفردهم تقريباً، مما جعل أطفال الفئات الدنيا من اليهود، كأطفال الباعة المتجولين، وماسحي الأحذية، لا يحرزون تقدماً كبيراً في دراستهم، فكان الكثير منهم لا يحسن قراءة صفحة واحدة بمفرده (حجازي ١٩٩٢: ٢٤٨).

كما أن التربية في المراحل المتأخرة من تعليم أبناء اليهود، تنتهي كعملية تطبيع اجتماعي، وتتحول إلى تعليم من أجل الحصول على معرفة دينية متخصصة، ، أي إن هذه المراحل كانت عملية تصفية وفرز، يتم من خلالها انتقاء العناصر النابهة ذات الاستعداد الخاص، والتي سيتم تجنيدها للعمل في المؤسسات المختلفة. فالمدارس التلمودية قد عملت على تخريج الأفراد المتعلمين، الذين تكون الجماعات اليهودية بحاجة إليهم، لإدارة مؤسساتها الإدارية والدينية والقضائية. ومع ذلك، فقد كان التلاميذ، –في معظم الأحيان– الذين يمتلكون القدرة على الاستمرار في الدراسة، هم من أبناء الأثرياء، الذين استطاع آباؤهم دفع أجور المعلمين الجيدين،

أما الغالبية العظمى من التلاميذ، فقد كانوا يتركون الدراسة قبل المراحل النهائية، إما للعمل والمساهمة في دخل الأسرة، وإما لتعلم حرفة أو صنعة يدوية وبأي طريقة من الطرق، كطريقة "نظام الصبية"، المعروفة لدى يهود اليديشية (حجازي ١٩٩٢ : ٢٤٩).

وقد كان المنهج في المدارس اليهودية دينياً أساساً، موجهاً لتدريس مبادئ الدين وتعاليمه وشعائره وفقهه، ولذلك، كانت كتب اليهود المقدسة، التوراة والتلمود وتفاسيرهما، هي النصوص المدرسية الأساسية، كما كان يقوم بعض المعلمين بتدريس أجزاء أخرى من العهد القديم، كبعض المقاطع من كتب الأنبياء، وكتب الحكمة، كما اهتمت بعض الجماعات اليهودية بتدريس أبناءها بعض الكتب المقدسة، مثل كتاب الزوهار، وكتاب مزامير داود، وكذلك الأشعار، التي تتلى في المعبد أثناء الاحتفالات بالأعياد، كما تضمنت مناهج المدارس التكميلية في العصر الحديث، اللغة العبرية والأدب المكتوب بها، إلى جانب دراسة التوراة والعبادات والصلوات والاحتفالات والتاريخ اليهودي. وقد استبعد التعليم الديني اليهودي أية مواد علمانية، وأية معرفة بالتطورات الحضارية والثقافية، التي حدثت بالمجتمعات، ومن ثم حافظ على الهوية الدينية لليهود وعلى ثقافتهم، ودعم عزلتهم الحضارية والثقافية، فكان بمثابة قلعة حصينة من التقاليد، عملت على استمرار عزلة اليهود، وعدم قابليتهم للذوبان الكلي في المجتمعات، التي ينتمون إليها، وانعدام قدرة تلك المجتمعات على استيعابهم وقبول اندماجهم الكلي فيها (صايغ ١٩٧٧ : ١٣).

وتقوم بالتربية الدينية لأبناء الجماعات اليهودية، داخل المجتمعات التي ينتمون إليها، ثلاث مؤسسات تربوية، في الغالب، وتأتي في مقدمة تلك المؤسسات المدرسة، ورغم أن المدرسة لم تتحول إلى مؤسسة لدى بعض تلك الجماعات، إلا أن التلاميذ في المدارس الدينية القديمة، كانوا في بعض الجماعات يقضون فيها معظم أوقاتهم، منذ طلوع الضوء وحتى غروب الشمس. أما ثاني تلك المؤسسات التربوية، فهي الكنيس، حيث يصلي التلميذ، ويتلقى تعليمه الديني مع أبيه أيام السبت، وترجع أهمية الكنيس، كمؤسسة تربوية، إلى الجو الديني المقدس، الذي يعيش فيه الناشئ، ولمصاحبته للبالغين، الذين يكتسب منهم خبرته الحياتية، الأمر الذي يوجد انطباعاً عميقاً في روحه. يأت بعد ذلك المنزل أو الأسرة، كمؤسسة تربوية ثالثة، ففي أيام السبت، وأيام الاحتفالات الدينية، يتوفر الوقت والهدوء، الذي يتيح الفرصة أما أولياء الأمور للتربية، فيخصصها كثير من الأباء لامتحان معرفة أبنائهم، واستغلال وقت فراغهم في تزويدهم بالمعارف، التي تكمل النقص، الذي قد يتركه المعلمون لديهم، لأن ما يتعلمه الأبناء في المدارس، عادةً ما يكون استظهاراً من غير فهم للتوراة والمشناة، ينصب على النطق السليم والتنغيم، وغيرها من الأمور السطحية أو الظاهرية (ناطوري كارتا ١٩٨٤ : ١٥٣).

وإذا كانت المدارس الدينية القديمة، لم تهتم كثيراً بالتعمق في الموضوعات الدينية، التي تقدمها لأبناء الجماعات اليهودية، وتركت مسؤولية القيام بذلك على كاهل الأباء، مما أوجد علاقة تكاملية بين المدرسة والمنزل، فإن حاجة أبناء اليهود لدراسة العلوم الدنيوية أوجد علاقة تكاملية أخرى بين المدارس الدينية والمدارس العلمانية، فظهرت إلى جانب المدارس الدينية

العليا، المتخصصة في تخريج الحاخامات المدارس التكميلية، وهي مدارس ملحقة بالمعبد، تأسست في كثير من التجمعات اليهودية، وهي ممولة من قبل الجماعات اليهودية، وتوضع تحت الأشراف المباشر للجماعات، التي تدير شؤونها، ويحضر التلاميذ اليهود في هذه المدارس، بعد أن ينتهوا من دراستهم في المدارس الحكومية، فيدرسون فيها بعض المواد اليهودية، وفي هذه المدارس التكميلية يحضر التلميذ إما مرة في الأسبوع (مثل مدارس الأحد)، أو لمدة ساعة أو ساعتين كل يوم بعد انتهاء اليوم الدراسي (حجازي ١٩٩٣ : ٢٥٦).

- الأهداف السياسية

إن اندماج جماعات اليهود في مجتمعاتهم، التي يعيشون فيها، أمر يقلق الحركة الصهيونية وقادتها، لذا فقد عملوا على أن تقوم التربية الخاصة بهذه الجماعات بتحقيق هدفين، هما: ١) الحفاظ على الهوية اليهودية. ٢) تأكيد مركزية إسرائيل في الحياة اليهودية. ويؤكد تصريح ناحوم جولدمان حرص الصهاينة على تحقيق هذين الهدفين، عندما قال: "إن على يهود أمريكا أن يكون لديهم الشجاعة، لأن يعلنوا أنهم يتمتعون بولاء مزدوج، واحد للبلد، الذي يعيشون فيه، وآخر لإسرائيل". كما صرح بن جوريون أيضاً، بوجود ازدواج مستمر في حياة اليهودي، وأن الإبقاء على هذه الازدواجية ضرورة، وذلك عندما قال: "... وأن اليهودي أينما عاش خارج إسرائيل، فهو إلى حد كبير يعتمد على إرادة الأغلبية ... وأن اليهودي في المنفى Diaspora ، يجد نفسه ممزقاً بين مجالين متنافسين للنفوذ ... فهو كمواطن، يشتق مادته الثقافية والمادية من غير اليهود الذين يعيش بينهم ... وأنه كي يبقى يهودياً ، عليه أن ينكب على ماضيه، وعلى تراثه وتقاليده ... ولا يمكننا العيش في المنفى، داخل إطار يهودي خالص ... وأن الإقامة خارج إسرائيل حين يمكن تجنب ذلك، ذنب ديني كبير" (عبده وقاسمية ١٩٦٥ : ٣١). وبذلك نجد أن تحقيق الهدفين السابقين، فيه تحقيق للهدف الأساسي والأكبر، وهو هجرة الجماعات اليهودية من كل بلد إلى إسرائيل.

وعليه، فالصهيونية تعمل –من خلال التربية– على تطبيع اليهود على قضايا عدة، منها، غرس فكرة التميز في وجدان الجماعات اليهودية، وإشعارهم بأن مصيرهم –أفراداً وجماعات– معلق بمصير إسرائيل، كما يعمل أيضاً على تحقير الحياة اليهودية في المجتمعات التي يتواجدون فيها، والتركيز على قضايا الاضطهاد والمذابح، التي يزعمون أنهم تعرضوا لها، وتضخيمها إلى درجة الأسطورة، وذلك بهدف غرس ما يسمى بعقدة الهلوكوست، أي الإبادة، حتى يصبح اليهودي أمام خيار صعب، فإما الهجرة، وإما الحياة في هواجس الإبادة، وشبح الاضطهاد، وكذا الشعور بالذنب بسبب التخلي عن الواجب الديني أو القومي، المتمثل ببناء الدولة (عطاري ١٩٨٠ : ٣٥).

فقد أدرك حكماء صهيون، منذ القرن الثامن عشر، أن التربية هي الوسيلة الوحيدة لتحول آمال اليهود، وإيقاظ مشاعرهم، وإثارة حماسهم نحو الوطن، الذي يحلمون به. لذلك، فقد عمدت المنظمات الصهيونية إلى إنشاء العديد من المدارس في الشتات، وبدأ ظهور هذا النوع من المدارس في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت تحت تأثير الحركة الصهيونية. وقد جمع

منهجها بين المواد الدينية والمواد العلمانية، وقد وجهت المواد الدينية توجيهاً علمانياً صهيونيا، إذ احتوت مناهجها على تعليم اللغة العبرية، ليس كلغة مقدسة، وإنما كلغة قومية، تستخدم في كافة مجالات الحياة، كما احتوت المناهج على مقررات فيما يسمى بتاريخ اليهود، وجغرافية فلسطين "أرض إسرائيل"، علاوة على بعض المواد الأخرى، مثل الرياضيات، والتاريخ العام، وبعض المواد الدينية، واللغة القومية للدولة، التي ينتمون إليها.

كما ظهر توجه نحو إدخال الحوادث الجارية المتعلقة بإسرائيل، في صلب المنهج المدرسي، كما تعمل هذه المدارس –من خلال منهجها– على بلورة المفاهيم الصهيونية بين الشباب اليهودي، وعلى التماسك، والتعاون مع إسرائيل، والاستعداد لخوض الحرب من أجلها، وزيادة التضامن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين اليهود في العالم، حتى يتم الإبقاء على الازدواج الثقافي لديهم، ويحول دون ذوبانهم. لذلك، فإن إسرائيل توفد مدرسين منها للعمل في تلك المدارس، كما يتلقى مدرسون يهود من الشتات تدريباً في معاهد المعلمين الإسرائيلية، إضافة إلى تأسيس معاهد معلمين لليهود في بعض البلدان، ويدرس فيها مدرسون في إسرائيل (حجازي ١٩٩٢: ٢٧٣).

ولا تقتصر المؤسسات التربوية في الشتات على المدارس، بل إن الكنس اليهودية تأت في مقدمة هذه المؤسسات، فهي تلعب دوراً كبيراً في برامج التربية اليهودية، فالقائمين عليها (رجال الدين) يقومون بدور لا يستهان به في ربط اليهود بأرض فلسطين، وتشجيعهم على الهجرة إليها، وذلك من خلال ما يقدمونه من مواعظ وخطابات دينية، كما تقوم الكنس بنشر الكتب وتوزيع النشرات، وتنظيم المساقات الدراسية، وإنشاء مراكز تعليم الكبار، وتنظيم المخيمات الكشفية.

وعندما أدرك قادة الحركة الصهيونية أن الدين –في العصر الراهن– لم يعد له نفس الفعالية في جذب الشباب اليهودي، وأدركوا، أيضاً، أن المدارس اليهودية غير كافية لتحقيق أهدافهم، فأنشأوا حركات الشبيبة اليهودية، لتسهم في تنشئة الأجيال اليهودية. ومن أبرز نشاطاتها تنظيم مجتمعات الشبيبة على مدار العام الدراسي، وذلك بهدف زيادة وعي الأعضاء بهويتهم اليهودية، وتعريفهم بتراثهم، وربطهم بإسرائيل (عطاري ١٩٨٠: ٧٧).

كما تحتل المراكز الثقافية اليهودية، مركزاً جيداً في شبكة المؤسسات التربوية اليهودية، وهي منتشرة في كثير من بلاد العالم، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إطار هذه المراكز، عادة ما تقام أنشطة اجتماعية وثقافية وتعليمية واسعة: كتنظيم دورات تعليم اللغة العبرية، وعرض أفلام ومسرحيات، وإقامة الحفلات الغنائية، التي يشارك فيها فنانون إسرائيليون، وبذلك يتعرض معظم الشباب اليهودي لعمليات تنشئة موجهة، تخدم في نهاية المطاف التوجه الصهيوني العام.

أما فيما يتعلق ببعض الشباب، الذين لا يلتحقون بالمدارس اليهودية، ولا يترددون على مثل هذه النوادي، ولا يشتركون في حركات الشبيبة اليهودية، ولا يترددون على الكنس، فإنهم أكثر تأثراً بالمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي غير اليهودي. ولتلافي هذا القصور، فقد

عملت الصهيونية –بغرض التشكيل للشخصية اليهودية– على إنشاء إذاعات يهودية في كثير من بلاد العالم، تبث باللغتين المحلية والعبرية، إلى جانب إذاعة في إسرائيل (صوت صهيون)، التي تبث برامجها إلى يهود العالم وبمختلف اللغات. كما تعلق الدوائر الصهيونية أهمية كبيرة على الصحافة، وعلى دور الصحفي اليهودي في محاربة خطر الاندماج (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٤: ٩٣٢).

وأخيراً، يمكن القول أن المؤسسات التربوية الإسرائيلية، تسهم هي الأخرى في تنشئة الشباب اليهودي في الشتات، فهناك عدد من الشباب اليهودي يتلقى دراسته كلها أو جزء منها في المدارس والجامعات الإسرائيلية، ومنهم من يأت لحضور مساقات صيفية. كما تنتقل، أحياناً، صفوف تعليمية يهودية كاملة من مدارس الشتات إلى إسرائيل، لمدة فصل دراسي أو أكثر، ضمن مشروع يسمى (جسر الأخوة) بين الطلبة الإسرائيليين ويهود الشتات، على أمل أن يقرر بعضهم البقاء في أرض الميعاد. وتقدم إسرائيل لهؤلاء الطلبة كافة التسهيلات، وتقوم عدة منظمات أو هيئات على رعاية شؤونهم، وحل المشكلات، التي قد تعوقهم عن تلقي تعليمهم في إسرائيل (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٤: ٩٣٢).

وبتأمل القول السابق، يتبادر إلى الذهن أن التربية في إسرائيل تختلف عن التربية اليهودية، وإذا كان الأمر كذلك، فإلى أي مدى يكون هذا الاختلاف، هل اختلاف ظاهري، أم اختلاف جوهري ؟

ثانياً.. التربية في إسرائيل

من الأمور المتبعة عند الحديث عن التربية، في أي مجتمع من المجتمعات، الإشارة إلى الأصول، التي تتشكل التربية على أساسها، أو تستمد منها موجهاتها العامة في سبيل إعداد النشء. وفي حالة المجتمعات الطبيعية، نجد أن التربية تتشكل وفقاً لتاريخ المجتمع، وتراثه الثقافي، ودينه، وعاداته وتقاليده والعلاقات الاجتماعية القائمة فيه وكذا تركيبته الاجتماعية، وفلسفته السياسية والاقتصادية، وأخيراً موقعه الجغرافي وعلاقة ذلك الموقع بالعالم من حوله، وبمجمل هذه الأصول تتحدد فلسفة ومقومات وأهداف التربية في المجتمع، أي أن التربية تتحدد وفقاً لطبيعة المجتمع.

وعليه فطبيعة المجتمع الإسرائيلي، تحدد بالضرورة طبيعة التربية فيه. وطبيعة الكيان الإسرائيلي معلومة للجميع –مؤيدين ومعارضين– فطبيعته احتلالية استعمارية، نتيجة لذلك "الزواج الشرعي" الذي تم بين الاستعمار الغربي والحركة الصهيونية، قبل القرن التاسع عشر. وكما هو معلوم أيضا، فقد استخدمت الصهيونية الدين لخدمة الأغراض السياسية الأوروبية أولاً، وتلك الخاصة ببعض الجماعات اليهودية، فتأسس الكيان الإسرائيلي على أساسين: السياسة، والدين، وهذا ما أكده أنيس صايغ في تقديمه لكتاب (الدولة والدين في إسرائيل) لأسعد رزق بقوله: "إن إسرائيل من الدول القليلة جداً في عالمنا المعاصر، التي تربط كيانها السياسي بالدين، وتجعل من الدين أساساً لوجودها، وهي في الوقت نفسه الدولة الوحيدة في

عالمنا المعاصر، التي يكون الدين هو حجتها في الوجود" (القشطيني ١٩٨٦ : ٢٢٥)، أي أن التربية الإسرائيلية تتشكل أساساً وفقاً لهذين الأصلين: السياسة والدين فقط، فليس للجماعات السياسية اليهودية على أرض فلسطين تاريخ فيها، وليس لهم ثقافة فلسطينية مشتركة تجمعهم فيها، بل كل جماعة منهم أتت بثقافتها الخاصة بها، وليس لهم عادات وتقاليد وعلاقات اجتماعية واحدة، بل متنوعة وفقاً لبلدانهم، هذا التنوع الثقافي جعل التربية الإسرائيلية في مأزق، فالوضع الطبيعي يقضي بضرورة التكامل بين المدرسة والأسرة، في مسألة تنشئة الأبناء ثقافياً، إلا أن الأمر يختلف في إسرائيل، إذ يؤكد الإسرائيليون على أن المطلوب من المدرسة الإسرائيلية، أكبر مما هو مطلوب من مثيلاتها في الدول الأخرى، فـ "... هناك فرق كما يقول المربون الإسرائيليون، بين تربية هي استمرار لثقافة البيت والمجتمع المحيط، وبين تربية لا تستطيع الاعتماد على البيت، بل في أكثر الأحيان يطلب منها، مبادلة العمليات الثقافية، وإعادة تربية الأطفال، بشكل يناقض عاداتهم وتنشئتهم السابقة، بهدف خلق شعب واحد بلغة واحدة وقيم واحدة" (Bentwich ١٩٦٣: ٦٣)، وهذا ما أكده قوشي سميلانسكي في كتابه (رعاية الطفولة والشباب في إسرائيل) حيث بين إن الأهمية، التي توليها إسرائيل للطفولة، ترجع إلى اختلاف الأحوال الثقافية للبيوت اليهودية، وعدم إتقان كثير من الأباء للغة العبرية، مما يجعل رياض الأطفال والمدارس، ليست مؤسسات مكملة للبيت، بل بديلة عنها. أما الموقع الجغرافي، فهو موقع يتمتع بالخطورة وعدم الاستقرار.

وعليه فوجود الكيان الإسرائيلي، الذي قام على أساس الصهيونية، وجود سياسي مبني على أساس ديني. والفكرة، التي قامت عليها الصهيونية لا تختلف عن الأفكار الواردة في الكتب اليهودية المقدسة، والتي تؤكد في جملتها على أن أرض فلسطين، هي هبة الله لليهود، وأنها الحق الإلهي، الذي يقضي الواجب بتمسكهم به، والعودة إلى هذه الأرض كلما ابتعدوا عنها. والصهيونية، في نظر الجماعات اليهودية السياسية، قديمة قدم التوراة، أو بتعبير إيلي ليفي أبو عسل، أن المرحلة الأولى للصهيونية ترجع إلى زمن التوراة (الكيلاني ١٤٠٥ه :٢٤)، وعبر هرتزل عن نفس الفكرة بالقول: "أن الصهيونية عودة إلى اليهودية، قبل أن تكون عودة إلى الوطن اليهودي" (شعبان ١٩٩٧ : ٩٠)، التي اعتبرها الحاخام كاليشر أساس الإخلاص الديني، ولخصه بأربع كلمات بقوله: "... العمل المقدس في الأرض المقدسة" (الرشيدي : ١٦٣). وينبغي على التربية، في مبادئها وأهدافها، أن تتشكل وفقاً لهذه الخلفية، أو لهذا الوضع السياسي الديني.

مبادئ التربية في إسرائيل

لقد كانت التربية اليهودية وما زالت، بخلفيتها الدينية التوراتية والتلمودية، وبفلسفتها المستمدة من تعاليم الصهيونية، هي الوسيلة الأولى والأهم، والتي يعتمد عليها في بناء الجيل اليهودي والوطن الصهيوني، وهذا ما أشار إليه هرتزل في يومياته، حيث اعتبرها الأسلوب الأمثل لتحقيق هدفه، وجعل الدين والأناشيد الوطنية والمسرحيات البطولية، من المواد،

التي من الضروري أن يشتمل عليها المنهاج.

كما رأى إلياهو كوهين -في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين عام ١٩٥١م- أن مصير إسرائيل يرتبط بإيجاد جهاز حقيقي لتنفيذ التربية والتعليم حسب المبادئ الإسرائيلية أو الصهيونية (عطاري ١٩٨٠: ٤٩)، وهذه المبادئ في الأساس مبادئ سياسية ذات طابع ديني، وتتمثل في الآتي:

١. تعميق الوعي اليهودي الصهيوني.
٢. التربية على القيم القومية اليهودية الصهيونية.
٣. الاهتمام بدور اللغة العبرية من أجل الحفاظ على التراث اليهودي، وبعثه وتعميقه بين الشباب الإسرائيلي.
٤. ترسيخ جذور الشباب الإسرائيلي بماضي اليهود وتراثهم التاريخي، من أجل خلق أجيال إسرائيلية، تؤمن بالمعتقدات الصهيونية، التي اعتنقها جيل المؤسسين (الرواد) للتأكيد على الريادة، وتصوير الرواد الأوائل مؤسسي الدولة نماذج للاقتداء بهم.
٥. التعلق بالأرض، من أجل تكوين مجتمع تتوحد فيه الجماعات اليهودية وتلتصق به.
٦. فلسفة (دين العمل)، ويرتبط مع المبدأ السابق بوصفه أحد أركان الثقافة اليهودية.

أهداف التربية الإسرائيلية

لقد تمت الإشارة، سابقاً، إلى أن دولة الكيان الإسرائيلي دولة دينية، بمعنى أن التربية فيها تستمد فلسفتها ومبادئها وأهدافها من الدين، ومع ذلك يمكن القول أن أهداف التربية في إسرائيل هي نفس أهداف التربية اليهودية، مع بعض التعديل في تقديم الديني على السياسي أو السياسي على الديني، فكما كانت أهداف التربية اليهودية دينية ذات طابع سياسي، فإن أهداف التربية الإسرائيلية سياسية ذات طابع ديني (الشيخ ١٩٦٩: ٤٠، وسرية ١٩٧٤: ٤٠)، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

١. تكوين مجتمع عضوي موحد من جماعات اليهود، التي تجمعت في أرض فلسطين.
٢. بناء دولة عصرية تمتلك أسباب القوة المادية والروحية.
٣. الحفاظ على التراث اليهودي، ونشره وتعميقه في نفوس النشء الإسرائيلي.
٤. جعل إسرائيل مركز الاتصال بين يهود العالم، والممثل الرئيسي لمنجزات اليهود.
٥. إكساب أبناء اليهود مهارات العمل الزراعي.
٦. الإعداد الطلائعي أو الريادي للتلاميذ.
٧. غرس الإيمان الكامل في نفوس النشء بأن أرض فلسطين حقاً شرعياً لليهود، على أن لا يشاركهم فيه أحد، وأن العمل على إجلائها من غير اليهود واجباً مقدسا.

والهدف السابع من أهداف التربية الإسرائيلية، كان هدفاً سياسياً للصهيونية، التي سعت إلى جعل فلسطين "غويم رين"، والذي يعني بالعبرية، أن تكون فلسطين خالية من غير اليهود

ويعلل إسرائيل زاغويل على ذلك بقوله: "أنه طالما بقيت أكثرية عربية في فلسطين، يتعذر على الأقلية اليهودية، أن تبسط سيطرتها على من يفوق عددها بنسبة أضعافه، وأن سيطرة الأكثرية سوف تقيد هجرة اليهود، وتخنق الوطن القومي اليهودي في المهد" (رزق ١٩٦٨: ٤٠٦). كما أن هذا المبدأ ليس إسرائيلياً صهيونياً وحسب، بل إنه متجذر في الديانة اليهودية ذاتها، فقد ورد في التوراة: "وإن لم تطردوا أهل الأرض من وجهكم، كان من تبقونه إبرة في عيونكم، يضايقونكم في الأرض، التي أعطاكم إياها يهوه" (سفر العدد / ٣٣).

كما تسير التربية الإسرائيلية، باتجاه تحقيق مجموعة من الأهداف، منها: الاهتمام بالدين اليهودي، والتركيز على القيم التوراتية والتلمودية، وتعميقها في نفوس الصغار، لأنهم يخشون من إهمال فتيانهم وفتياتهم لشريعة التوراة، وتعاليم التلمود، فيبتعدون عن شعبهم اليهودي، وعن قضيتهم، التي يسمونها (أرض الميعاد)، ولذلك، كان لا بد للتلميذ الإسرائيلي أن يتعرف على ما كُتب في التوراة عن الشعب اليهودي، وعلى آبائه وأجداده، وعلى رجاله وتاريخه، وصراعه المستمر من أجل الاستيطان في أرض إسرائيل، والتمسك بها ، كما يجب أن يتعرف على مكانة إسرائيل في الكتاب المقدس، وعلى العلاقة بين الشعب اليهودي وأرضه المقدسة، التي وهبها الله له. كما تهدف التربية الإسرائيلية أيضاً إلى تمكين التلاميذ الإسرائيليين من إجادة اللغة العبرية، باعتبارها لغة اليهود الدينية، التي تستمد قدسيتها من كتاب التوراة، الذي كُتب بها (طنطاوي ١٩٩٧: ٤٢).

وحتى تتحقق مجمل أهداف التربية الإسرائيلية، أصدرت الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٥١م قانون التعليم الرسمي، الذي نص على الاقتصار على نوعين من التعليم، تقدمهما الدولة دون ارتباط بأي حزب أو جماعة خارج الحكومة: النوع الأول، يسمى التعليم الرسمي المدني أو العلماني. والنوع الثاني، يسمى التعليم الرسمي الديني. والفرق بينهما، أن النوع الثاني يشمل مواضيع دينية أكثر من الأول، كما أنه يصبغ المواد غير الدينية بصبغة دينية، وهو مستقل بمدرسيه ومفتشيه عن التعليم المدني، رغم أنه تابع لوزارة المعارف والثقافة، مثله في ذلك مثل التعليم المدني، وللآباء حرية إرسال أبناءهم إلى أي من النوعين (عطاري ١٩٨٠: ٧٦).

وسواءً أُرسل الطفل إلى المدرسة الدينية أو إلى المدرسة المدنية، فمهمة المدرسة واحدة، وهدفها واحد، وهو كما عبر عنه ساشر في كتاباته قبل قيام دولة الكيان الإسرائيلي في فلسطين بقوله: "إننا لا ننظر إلى إيجاد مدرسة في فلسطين، كمجرد وسيلة لتعليم عدد من الطلاب اليهود هناك، بل أبعد من ذلك بكثير، إنها رمز للمهمة العظيمة الملقاة على عاتقنا في تربية ذاتنا ... إنها رمز لإعادة بناء أجيالنا بناءً قوميا" (Sacher ١٩١٧: ١٧٢).

وتأكيداً لما سبق –في نوعية المدارس الدينية والمدنية– فإن الدراسات الدينية اليهودية تعد محور المنهاج المدرسي، ومادة إجبارية للنجاح فيهما، وتأتي في مقدمة الدراسات الدينية، التوراة والتلمود والتاريخ اليهودي. ليس هذا فحسب، بل إن مادة (الوعي اليهودي) تدرس في كلا النظامين، وهي أقرب ما تكون للتدريب العملي على اكتساب الثقافة اليهودية، وهي تدرس

بهدف تعريف التلاميذ، وخاصة في المدارس العلمانية، على الصلوات والطقوس والعادات والرموز الدينية اليهودية، كما تعمل على إقامة الاحتفالات في أُمسيات السبت، والعطل الدينية اليهودية على أرض المدرسة، لتخلق جواً يهودياً، وحالة ذهنية خاصة، تجعل التلاميذ أكثر استعداداً لتقبل التراث الديني اليهودي والاعتزاز به (عطاري ١٩٨٠: ٧٦).

أما اللغة العبرية فيتم التركيز عليها، لأنها، من ناحية، لغة مقدسة، وبدون إجادتها، يصعب على التلاميذ الإطلاع على الكتب اليهودية المقدسة، المكتوبة بها، وفي مقدمتها كتاب التوراة. ومن ناحية أخرى، فاللغة العبرية تعد من العوامل الهامة لصهر اليهود، الذين يتحدثون بلغات الشعوب، التي عاشوا بين ظهرانيها في بوتقة اللغة العبرية، كعنصر مهم في الرابطة القومية اليهودية، فهي تعمل على توحيد اليهود، وتقريب الهوة الثقافية والحضارية بين الجماعات المختلفة، ودمجهم في مجتمع الكيان الإسرائيلي. كما تهتم التربية الإسرائيلية بتزويد التلاميذ بموضوعات عديدة، تختلف في المسميات وتتحد في الهدف، من هذه المسميات: الوطن والتاريخ والجغرافيا، وعلى الرغم من أن هذه الموضوعات يتم تناولها من زوايا دينية، إلا أنها تخدم أغراضاً سياسية.

إلى جانب التركيز الملحوظ على الجوانب الدينية في التربية الإسرائيلية، تحترم دولة الكيان الإسرائيلي العلم وتقدره كثيرا، فنشأتها وقيامها واستمرارها قائم على العلم، وقد أشار قانون التعليم الإسرائيلي إلى ضرورة إرساء الأسس التربوية، على إنجازات العلم، وكان المربون الصهاينة، قد أكدوا قبل ذلك بكثير، على ضرورة التركيز على المجالات العلمية، يقول مايربار –إيلان: "إذا أردنا أن نصبح دولة عصرية، يجب علينا ألا نسمح بأن يمسخ تعليمنا لينحصر في تدريس الدراسات الدينية والقومية الخاصة بنا ، لأننا في هذه الحالة، سوف نضطر إلى استيراد ما نحتاجه من أطباء ومهندسين من بلاد أخرى، أو نضطر لإرسال أبنائنا إلى الدياسبورا" (مركز الأبحاث الفلسطينية ١٩٧٠: ٤٢٥). واهتمام إسرائيل بالعلم وتطبيع الأطفال عليه مستمر، ونقطة بدايته هي المدرسة، ومراحلها المبكرة، التي يكثر فيها اللعب، الذي يعتبره شمعون بيريز "... المدخل الصحيح للإلكترونيات ورحلات الفضاء، والمدرسة هي المكان، الذي يبدأ منه كشف أسرار الذرة، وتحطيم النواة، وعلى إسرائيل أن تبدأ مسيرتها من هذا المنطلق" (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام ١٩٧٤: ٩٥).

وتمشياً مع طبيعة المجتمع القائم على الاستحداث والحماية، فإن التربية الإسرائيلية تهتم بالعمل اليدوي والزراعي والتأهيل العسكري، الذي نص عليه قانون التعليم الصادر عام ١٩٥٣م، لذلك تعمل المدارس الإسرائيلية على إيجاد الاتجاهات الإيجابية نحو العمل اليدوي والزراعي عند التلاميذ منذ الصغر، كما يخصص للتدريب العسكري –مادة الجدناع– ساعتان في الأسبوع، على مدى أربع سنوات، وتعتبر هذه الفترة مقدمة للانخراط في سلك الخدمة العسكرية الإلزامية (عاموس بيرلموتر ١٩٧٥: ٩٠). وحتى لا تفسد الأسرة ما تبنيه المدرسة، فقد عهد المجتمع الإسرائيلي إلى مؤسسات أخرى لتعهد الأطفال والشباب بعد انتهاء اليوم الدراسي، وتنشئتهم ليصبحوا اسرائيليين، ومن هذه المؤسسات: الكنس والنوادي ومراكز

الشبيبة، والمنظمات العسكرية (نشوان ١٩٩٤: ٥٨، و عطاري ١٩٨٠: ٩٩- ١٠١، و Grand ١٩٥٨: ٢٨-٤٠، و عاموس بيرلموتر ١٩٧٥: ٨٣).

التربية اليهودية والتربية الإسرائيلية

إذن، فالمدرسة الإسرائيلية، ومؤسسات المجتمع الإسرائيلي، تعمل على إيجاد المواطن الإسرائيلي -كما تبين سابقاً- فهل هذا يعني أن التربية الإسرائيلية تختلف عن التربية اليهودية، أم أنهما شيء واحد ؟. وحتى تكون الإجابة عن هذا السؤال موضوعية، ومبنية على هدى، ينبغي النظر إلى كل من أصول ومقومات وأهداف التربيتين، وبناءً على هذه الرؤية تتحدد الإجابة. وحتى نتوصل إلى الجواب الفصل في هذا الشأن علينا أولاً النظر إلى الجدول الآتي، جدول رقم (١).

جدول رقم (١)

يبين أصول ومبادئ وأهداف التربية اليهودية والتربية الإسرائيلية

الهيئات	التربية اليهودية		التربية الإسرائيلية	
	م	البنود	م	البنود
الأصول	١	الدين والفكر اليهودي، والصهيونية	١	الدين والفكر اليهودي الصهيوني
	٢	التاريخ اليهودي	٢	التاريخ اليهودي
	٣	السياسة: العودة إلى فلسطين، وبناء دولة يهودية	٣	السياسة: الحفاظ على الدولة، التوسع، وإقصاء غير اليهود من فلسطين
المبادئ		دينية ذات طابع سياسي: وهي		سياسية ذات طابع ديني، وهي:
	١	تنمية شعور اليهودي، بأنه متميز على غيره من الأمم	١	تعميق الوعي اليهودي الصهيوني
	٢	تنمية مشاعر اليهودي على الانتماء إلى غيره من اليهود في مختلف أنحاء العالم	٢	تعزيز القيم القومية اليهودية الصهيونية
	٣	تنمية روح التسلط وامتلاك الأسباب المؤدية إليه كالمال والعلم	٣	تعميم اللغة العبرية
			٤	الاهتمام بماضي اليهود وتراثهم التاريخي
			٥	التعلق بالأرض
			٦	فلسفة (دين العمل)،
الأهداف		قائمة على الدين		قائمة على الدين
	١	تعليم الكتب المقدسة والشعائر الدينية	١	تكوين مجتمع عضوي موحد من جماعات اليهود
	٢	تأهيل الأطفال للعمل في المؤسسات اليهودية	٢	بناء دولة عصرية
	٣	إطلاع التلاميذ على التاريخ اليهودي	٣	الحفاظ على التراث اليهودي، ونشره وتعميقه في نفوس النشء الإسرائيلي
	٤	إعداد التلاميذ لأرض الميعاد	٤	جعل إسرائيل مركز الاتصال بين يهود العالم
			٥	إكساب أبناء اليهود مهارات العمل الزراعي
			٦	الإعداد الطلائعي أو الريادي للتلاميذ
			٧	غرس الإيمان بأن فلسطين حق خالص لليهود دون غيرهم

وبالنظر إلى الجدول السابق رقم (١)، يتبين أن التربية اليهودية والتربية الإسرائيلية متماثلتان تماماً، في أصولهما ومقوماتهما وأهدافهما، وإن ظهر الاختلاف في عدد الأهداف والمبادئ، أو في نصوص بعض الأهداف والمبادئ أيضاً، فهذا الاختلاف، هو اختلاف ظاهري، اقتضته طبيعة المرحلة التاريخية والواقع السياسي لدولة الكيان الإسرائيلي.

استنتاجات الدراسة

من العرض السابق، أصبح بالإمكان الإجابة على أسئلة الدراسة الحالية، ووضع هذه الإجابات على شكل استنتاجات، فقد تبين من خلال الدراسة عدم وجود فارق جوهري بين التربية الإسرائيلية والتربية اليهودية، وإن وُجدت فروق، فإن هذه الفروق ترجع إلى الفارق الزمني، والفارق الواقعي، الذي يتمثل في الكينونة السياسية للصهاينة في دولة الكيان الإسرائيلي، التي لم تكن متحققة في الماضي. وعليه فالتربية اليهودية والتربية الإسرائيلية متفقتان في:

١. الأصول:

- الدين والفكر اليهودي، والصهيونية.
- التاريخ اليهودي.
- السياسة: العودة إلى فلسطين، وبناء دولة يهودية، والحفاظ عليها، مع استمرار التوسع، والعمل على إقصاء العرب الفلسطينيين من أرض فلسطين.

٢. المبادئ:

- تنمية شعور اليهودي، بأنه متميز على غيره من الأمم.
- تعميق الوعي اليهودي الصهيوني من خلال تعزيز القيم القومية اليهودية الصهيونية، التي تنمي مشاعر اليهود على الانتماء إلى غيرهم من اليهود في مختلف أنحاء العالم.
- تنمية روح التسلط وامتلاك الأسباب المؤدية إليه كالمال والعلم.
- الاهتمام بماضي اليهود وتراثهم التاريخي.
- الاهتمام باللغة العبرية، كوسيلة لربط اليهود ببعضهم البعض، وقاعدة ثقافية لهم.
- التعلق بالأرض، وتبني فلسفة العمل اليدوي والزراعي.

٣. الأهداف:

- تعليم الكتب المقدسة والشعائر الدينية.
- تأهيل الأطفال للعمل في المؤسسات اليهودية.
- إطلاع التلاميذ على التاريخ اليهودي، والحفاظ على تراث اليهود ونشره وتعميقه في نفوس النشء الإسرائيلي.
- إعداد التلاميذ لأرض الميعاد، وبناء دولة عصرية، تكون مركز الاتصال بين يهود العالم، وتكوين مجتمع عضوي موحد من جماعات اليهود المهاجرة إليه.
- الإعداد الطلائعي أو الريادي للتلاميذ، وإكسابهم مهارات العمل الزراعي، الذي يتطلبه واقع الكيان الإسرائيلي.

المراجـــع

- القرآن الكريم.
- التوراة.
- إبراهيم ناصر الناصر؛ "بنو إسرائيل والمسجد الاقصى"، مجلة البيان، عدد ١٧٥،
- أحمد بهاء الحجار؛ تربية الذميين في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنوفية، ج.م.ع، ١٩٩٠.
- أسعد رزق؛ إسرائيل الكبرى، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٦٨.
- إسماعيل الكيلاني؛ "في الفكر اليهودي"، مجلة الأمة، ذي القعدة، ١٤٠٥هـ.
- أشرف شعبان "أساسيات في الفكر اليهودي"، مجلة منار الإسلام، السنة ٢٢، عدد ٩، ١٩٩٧.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٢، ١٩٩٨.
- أمة السلام محمد جحاف محددات اختيار أولياء الأمور للمدارس الثانوية الأهلية والخاصة لتعليم أبنائهم في الجمهورية اليمنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٠.
- أنور الجندي المخططات التلمودية الصهيونية، دار الاعتصام، بدون تاريخ، القاهرة.
- تيودور هرنزل يوميات هرتزل، ترجمة مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨.
- جمال محمد سعيد ، بنو إسرائيل في العصور الغابرة، مكتبة زهراء الشرق، مصر، بدون تاريخ.
- جمعية ناطري كارتا "يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية"، مجلة دراسات يمنية، عدد ١٧، يوليو، أغسطس، سبتمبر، ١٩٨٤.
- جودت السعد الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.
- حسن الرشيدي "جذور التيارات الفكرية في الحياة السياسية الإسرائيلية"، مجلة البيان،عدد ١٦٣.
- حسن الزين "مراحل من تاريخ أرض كنعان"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ٢٠٨، يوليو، ١٩٩٠.
- حسن ظاظا الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
- خالد القشطيني تكوين الصهيونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
- داؤد عبد الغفور سنقرط جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧.
- سبيتينو موسكاتي الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧.
- شحادة على الناطور القضية الفلسطينية، دار الكندي، عمان، ٢٠٠١.
- صالح عبد الله سرية تعليم العرب في إسرائيل، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٧٤.
- صالح موسى الدراوكة العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ١٩٩٢.
- طلال عتريسي قراءة في المرتكزات التربوية للمشروع الصهيوني، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٥.
- ظفر الإسلام خان التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥.
- عادل توفيق عطاري التربية اليهودية في فلسطين والدياسبورا، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨٠.
- عاموس بيرلموتر العسكريون والسياسة في إسرائيل، ترجمة مؤسسة الأرض، دمشق، ١٩٧٥.
- عبد القادر فارس العنصرية الصهيونية وفلسفة التربية اليهودية، مركز الدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٥.
- عبد الله طنطاوي "كيف يربي اليهود أطفالهم"، مجلة الدعوة، عدد ٦٤، أغسطس/سبتمبر، ١٩٩٧.
- عصام أرشيدات و داود عبيدات و آخرون دراسات في القضية الفلسطينية، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ١٩٩٢.
- عفيف البهنسي "فلسطين لم تكن وطناً لبني إسرائيل"، مجلة وجهات نظر، السنة الثالثة، العدد السادس والعشرون، مارس، ٢٠٠١.
- علي إبراهيم عبده و خيرية قاسمية يهود البلاد العربية، سلسلة دراسات فلسطينية، رقم (٨٢)، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، فبراير، ١٩٦٥.
- فايز صايغ الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧.

- محمد الحلايقة "أقصى المسلمين وهيكل اليهود – الحق والملكية في إطار السياق التاريخي وإشكاليات الصراع الحاضر"، إنترنت، ٢٠٠٢،
- محمد عبد العزيز منصور يا مسلمون اليهود قادمون، دار الاعتصام، بدون تاريخ.
- محمد عثمان شبير صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٧.
- محمود محمد طه مشكلة الشرق الأوسط، أم درمان، السودان، أكتوبر، ١٩٦٧.
- مركز الأبحاث الفلسطينية الفكرة الصهيونية، بيروت، ١٩٧٠.
- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام؛ العسكرية الصهيونية، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٧٤.
- مصطفى عبد العزيز؛ إسرائيل ويهود العالم، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٦٩.
- منير بشور و خالد الشيخ؛ التعليم في إسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩.
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية؛ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٤.
- نائل نحلة؛ "هكذا يربي اليهود أبناءهم"، مجلة البيان، العدد ١٧٣.
- هدى عبد السميع حجازي؛ "التربية والتعليم عند يهود اليديشية (يهود شرق أوربا) في العصور الوسطى حتى الثورة البلشفية"، مجلة دراسات تربوية، المجلد السابع، الجزء ٤٢ ١٩٩٢.
- "تطور التعليم بين الجماعات اليهودية في العصر الحديث"، مجلة دراسات تربوية، المجلد الثامن، الجزء ٥١، ١٩٩٣.
- هشام أبو حاكمة؛ أوهام اليهود في الوطن الموعود، دار الإسراء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢.
- يعقوب حسين نشوان؛ "التربية اليهودية"، مجلة البحوث والدراسات التربوية، السنة الثالثة، العدد ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٩٩٤.
- يوسف محمود يوسف؛ إسرائيل البداية والنهاية، ط١، ١٩٩٤.

- David Sacher; Zionism and the Jewish Future, London, 1917.
- Joseph S Bentwich; Education in Israel, London, Routleg and Kegan Paul, 1965.
- Samuel Grand; A History of Zionist Youth Organizations, (Doctoral dissertation), Colombia University Microfilms Ltd, 1958.